بيروت

ج. ض

العلم في ألمانيا

لم تحرز ألمانيا التفوق الباهر على الشعوب المتمدنة في فروع العلم والصناعة إلا بفضل انتظام جامعاتها وارتقاء كلياتها فهي تتجدد على مرور الزمان وتتطور بأطوار العصور وتراقب الاختراعات والاكتشافات في جامعات أوربا وأمريكا الكبرى فتناظرها وتنافسها فهي تبعث كل عام في العطلة المدرسية بوفود علمية مؤلفة من فحول العلماء والأساتذة ومعهم فريق من نوابغ التلامذة ونخبة أذكيائهم لتطوف في عواصم العالم المتمدن والتفتيش عن نظامات دور العلم والصناعة والمجامع الأدبية والفلسفية والطبية والمحافل المالية والاقتصادية وذلك لاقتباس ما يناسب الروح الألمانية فتعود البعثة مزودة بأجد الأفكار وأحدث الأطوار وتطبق حينئذ العلم على العمل وعلى هذه الطريقة ترسخ أقدام التجدد في تلك الكليات التي أصبح لها الفضل العظيم في تكوين الوحدة الألمانية، وتشييد أركان هذه الإمبراطورية الواسعة التي أرهبت العالم بقوتها وصولتها وامتداد سلطانها في قلب القارة الأوربية بعد أن كانت شعوباً متفرقة وإمارات متشتتة ومعرضة لإطماع ألفاتحين والغزاة من القياصرة والملوك. قال بسمارك في حديث له مع أحد المكاتبين الحربيين في حرب السبعين أن ألمانيا لم تنتصر على فرنسا في ميادين القتال والنزال إلا بفضل النظام ناشئتها ورجاحة عقول شبيبتها التي أدركت المنافع الوطنية من طريق المدرسة وعرفت أن حياة الافتراق والانشقاق لا تفرق كثيراً عن الموت الحقيقي والانقراض الطبيعي فليست مهارة القواد الألمانيين وكثرة الجيوش وقوة السلاح هي التي

نصرت ألمانيا على عدوها بل المدرسة الألمانية والعقل المدني هو الذي عقد ألوية النصر والفوز على رؤوس الألمانيين فالحروب الحديثة لا تأثير السلاح والكراع فيها وإنما العامل الوحيد للانتصار فيها هو العقل والتربية والنظام ونمو الروح الوطنية وفي الحقيقة أن ألمانيا لم تكن على جانب كبير من العلم والتمدين يوم اكتسحا نابليون وأخضعها لسياسته وجبروته فقد كانت حينئذ ميداناً للفتن وكان الخصام والنزاع والبغضاء سائدة مستحكمة في قلوب أمرائها وملوكها فلما أنشئت المدارس في أرجائها وشيدت الدارس في أمصارها وأقطارها وأشرقت شمس العلم والعرفان في البلاد أصبح من الخزي والعار أن يخضع الألمان لأجنبي فاتح فكان من آثار تلك النهضة العلمية نهضة سياسية أثمرت الوحدة الألمانية وأعقبها انقلاب عجيب في العلم والصناعة والتجارة والزراعة.

للجامعات الألمانية بما تكتشفه وتخترعه فيما ينفع الحضارة والعمران المقام الرفيع بين كليات العالم المدني ولها الامتياز على غيرها من الكليات باتباعها خطة بث الاستقلال الفكري والاعتماد على النفس وحب العمل والتجرد إلى ما ينفع الوطن والعنصر وقد فضلها بعض العلماء الباحثين على جامعات ألفرنسيين والإنكليز والأمريكيين من هذه الوجهة، ومما أذاع شهرة الكليات الألمانية وجود دور المساعي والمباحث العلمية التي أنشئت كفروع لها يطبق فيها التلميذ النظريات على العمليات بعد نيله الشهادة بالامتحان ففي إحدى كليات ألمانيا نحو خمسين فرعاً لها من دور البحث والتنقيب في المسائل العلمية وهي تشمل على عدد كبير من المكتبات والمتاحف والمصانع لإجراء التجارب ألفنية في الطب والكيمياء والهندسة وعلم طبقات الأرض والفلك وغيرها من فروع العلم والصناعة التي توسع مادة الدماغ الألماني وتعده أهلاً للاكتشاف والاختراع.

في ألمانيا اليوم دور خطيرة للمباحث العلمية غير ما تقدم من المصانع الخاصة بالجامعات وهي أوسع نطاقاً وأعظم دائرة منها اتفق على تجهيزها بالأدوات العلمية وتوفير أسباب البحث والتنقيب فيها مئات الملايين من المارکات فكان لها النتائج الحسنة والفوائد الغزيرة في الحرب العامة فقد توفق العاملون فيها وهم من خيرة علماء الألمان إلى اختراع أشياء كثيرة أفادت السلاح الألماني في ميادين القتال فاكتشفوا مادة كيماوية أطلقوا عليها لفظ – بروغليسيرين – فاستعملوا مقام مادة – الغليسرين – الذي كانت تجلبه ألمانيا من الديار الأجنبية قبل الحرب فانقطع وروده بسبب احتشاء أساطيل الأعداء في البحار وقد أنتج هذا الاختراع أثراً حسناً في إظهار مقام المدينة الألمانية ولما استعمل الأعداء المواد الخانقة في مقاومة الجيش الألماني بعد أن أعيتهم الحيل والمكائد الحربية وفشلت خططهم واختلت نظاماتهم اخترع علماء الألمان الباحثون في تلك المعاهد والمصانع مادة كيماوية أبطلت تأثير الغازات الخانقة التي حرمت القوانين الدولية استعمالها رأفة بالعنصر الألماني والجامعة البشرية وعلى أثر امتداد الحرب نفدت بعض المواد الإبتدائية في ألمانيا فاكتشف الكيماويون وعلماء النبات مواداً ثابت منابها وقامت مقامها فلم يمد الألمان يد العوز والافتقار إلى غيرهم من الشعوب المتحايدة واستغنوا عن سواهم بعقولهم وأعمالهم.

من حسنات دور ألفنون الألمانية إجراء التدريس في دائرة الاستقلال والحرية لإنماء ألفكر وتربية العقل، فالأستاذ في الجامعة غير مضطر إلى توفيق محاضراته وخطبه مع مستوى عقل التلميذ واقتداره فهو قانع أن طلابه مستعدون لقبول ما يلقيه عليهم من الدروس العالية ومختلف الأفكار والآراء. أما التلميذ في الكلية فهو حر مستقل كأستاذه يطلب العلم الذي يراه لائقاً بنفسه ويصبو إلى الأستاذ الذي يعتقد فيه النفع والفائدة لعقله

ويشتغل بدروسه على مقدار ما تميل إليه الروح والنفس وما يفوته من شوارد خطب أستاذه يستطيع أن يجده في مكتبات الكلية الغاصة بمئات الألوف من المجلدات في علوم مختلفة فإن أحط جامعة في ألمانيا لا تخلوا من مكتبة واسعة تسد حاجة التلميذ وتوسع مادة علومه ومعارفه.

أما التدريس في المدارس التالية وهي التي تعد الناشئة للدخول إلى الجامعات الكبرى – وتقابلها عندنا المدارس السلطانية – فهو جار على أصول المجانسة فالأستاذ فيها يراعي قاعدة مراقبة التلامذة وأطوارهم وطباعهم وقياس عقولهم واقتدارهم فهو يتفنن في تلقين الطلاب وحثهم على استماعها والملل بعقولهم إليها، والمراد بأصول المجانسة في المدارس الألمانية هو التزام الجد والاعتناء في إجراء الامتحانات سواء في قبول التلامذة الجدد أو في الامتحانات السنوية بحيث لا يستطيع أحد أن يجد فرقاً في العلم والعقل والاقتدار والكفاءة بين تلامذة صف من الصفوف بخلاف مدارسنا التي يجلس على مقاعد صفوفها الذكي ألفاضل إلى جانب الغبي الخامل وهو ناجم فينا عن مراعاة العواطف والالتماس في ألفحص السنوي مما أخل بنظام مدارسنا خللاً بليغاً وللمدارس التالية الألمانية عناية خاصة بأطوار التلامذة فهي تنتخب لهم مشاهير الأطباء في الأجسام والعقول لإجراء الكشف الطبي فالتلامذة المصابون بأمراض وعلل مختلفة والمبتلون بالخمول والجمود أوالحماقة وخفة العقل بطريق الوراثة لا تجوز لهم مخالطة غيرهم في المدرسة بل ينقلون إلى مدارس خاصة بهم تتوفر فيها أسباب معالجاتهم ومداواتهم مع إعطائهم قليلاً من العلوم والفنون على ما يناسب اقتدارهم وتكون غالباً تلك المدارس قائمة بين الغابات والأحراج أو على ضفاف الأنهار حول المروج وغيرها من المواقع الطبيعية.

ومما هو جدير بإطالة النظر وإمعان الفكر قلة المدارس الليلية في ألمانيا بالنسبة إلى ما في بلاد الشعوب الأوربية والأمريكية. فالألمانيون لا يقبلون عليها ولا يميلون إليها وهي تكون على الأغلب ملجأ للمنقطعين وأبناء السبيل وغيرهم من الفقراء والمسغبين الذين يتعذر عليهم إعاشة نفوسهم مع الاختلاف إلى المدرسة وطلب العلم أما الأغنياء والمتوسطون وبعبارة أخرى كل من يستطيع أن يقوم بنفقة ابنه وقريبه في داره فهم يفضلون المدارس النهارية على الليلية، ومنشأ هذا الميل اعتنائهم بحياة العائلة وتربيتها فالوالد يرغب من صميم فؤاده أن يكون طفله قريباً من حياة أسرته مشاركاً لها في معاشها كي لا يطرق الخلل إلى تربيته وأخلاقه الموروثة عن آبائه وأجداده فهو يود أن يشرف دائماً على أطواره وعاداته وأخلاقه وتربيته ويرجح أن يمضي ولده سواد الليل في داره وبين أركان عائلته على أن يكون نائياً عنها في مدرسة ليلية.

ولا تقل مدارس الإناث في ألمانيا رقياً وانتظاماً عن مدارس الذكور وقد فاقت ألمانيا غيرها من أمم العالم المتمدن في هذا الشأن وبرزت عليها جميعها فالمرأة الألمانية – حسب شهادة بعض العلماء – أعلى كعباً في العلم وأرقى أخلاقاً وأشرف نفساً من المرأة في فرنسا وانكلترا وأميركا وايطاليا والنمسا فهي خلقت لتربية أطفالها ومشاركة زوجها في أعماله وتخفيف كروبه وخطوبه ولها عناية كبرى في تدبير منزلها لا يسابقها أحد في هذا المضمار وهي أقل نفقة من النساء الفرنساويات والأميركيات والإنكليزيات ولا تميل إلى البهرجة والفخفخة بل تقنع بالألبسة المتينة البسيطة وتجتهد في اجتناب ما ينافي أطوارها الاجتماعية ويمس تربيتها وأخلاقها، والفضل في ارتقاء المرأة الألمانية عائد بالطبع إلى انتظام مدارس الإناث وإحكام أصول التدريس فيها وهي تنقسم إلى ثلاثة فروع أو أقسام

فالأول هو إعداد ألفتيات للدخول إلى الجامعات الكبرى والإحصاء في علم من العلوم كالطب والهندسة والفلسفة والتربية والتعليم والاجتماع والآداب والثاني هو النحوق بدور المعلمات لتخريج معلمات من الجنس اللطيف أخصائيات في التربية والتعليم وإدارة المعاهد العلمية والثالث من أهم فروع مدارس الإناث هو المدارس الخاصة بالنساء الراغبات في علم تدبير المنزل وتأليف الأسر وإنشاء العائلات ويشترط على اللاحقات بهذا ألفرع أن يكنّ من حاملات شهادة البكلوريا وقد أصبح لهذه المدارس أثر خالد في ارتقاء الحياة الاجتماعية والانتظام السائد في المدارس الألمانية فهي تنشئ ألفتيات على أساليب علمية وأصول راقية بحيث تكون الخريجة منها صالحة لإدارة منزلها وتربية أطفالها ومعاشرة زوجها فالمرأة هي الحاكمة والأميرة المطلقة في دارها فإذا لم تكن عالمة بشؤون الاقتصاد وأصول التربية والأخلاق والمعاشرة تصبح وباءً على أسرتها وزوجها فشقاء الأمة بشقاء المرأة وسعادتها قائمة بتربيتها وتعليمها.

وبالإجمال فإن ألمانيا لم تهمل فرعاً من ألفروع العلمية سواء في التربية والعلم والخلاق والصناعة والتجارة والاقتصاد وجميع الماديات والمعنويات إلا وأدخلته إلى كلياتها ومدارسها التي لم تأل جهداً في إنماء الروح الوطنية في قلوب الناشئة إذ تنتخب لهذا الأمر الخطير أساليب بديعة وطرائق متنوعة بحيث يخرج التلميذ على جانب من العلم والفضل مع الوطنية الصحيحة والمبادئ العالية فيكون ألمانياً صادقاً بميوله وأفكاره وطبائعه لا يحب غير ألمانيا ولا يميل إلى غير وطنه وعنصره، ورجلاً مستقلاً بنفسه مستعداً لركوب الأخطار والمهالك في كسب الرزق وإنماء الثروة وهذا هو الذي رفع شأن ألمانيا بين الممالك والقوام فأصبح لها المقام الرفيع في عالم الحرب والسياسة والاقتصاد. وفي حياة

الشعب الألماني وما تقلب عليه من حوادث العسر واليسر والتشتت والاجتماع والانحطاط والارتقاء عظات بليغة ودروس نافعة للأمم الخاملة والشعوب الجاهلة.

إبراهيم حلمي العمر .

شعر الرحلتين

تداولت أيدي المطالعين في الشهر الأخير كتابين شغلا جانباً عظيماً من ساعات فراغهم وحلا محلاً حسناً من قلوبهم وأكثرت الصحف من ذكرهما والحث على اقتنائهما حتى شعر بنفسه بالتوق إليهما كل من لم يكتب له العثور عليهما وليس في أمرهما مجال الغرابة فإن كتابين أحدهما يضم بين دفتيه ما اتفق لأدباء الشام وفلسطين من الشعر والخطب في استقبال أحد عظماء الدولة وكبار رجالها أنور باشا والثاني يستوعب أنباء رحلة وفد علمي سير بأمر القائد الكبير أحمد جمال باشا من ربوع الشام إلى عاصمة خلافة الإسلام، لهما كتابان جديران بما لقياه من إقبال القراء والباحثين حقيقان بأن يكون لهما الوقع الحسن والتأثير الأدبي لدى عامة أفراد الأمة أديبها وعالمها وأخصائيها وجغرافيها وسائر طبقاتها من مؤرخ يحفظ بهما حديث رحلتين أقردلهما مكان رحيب في صدر التاريخ، وشاعر تتمثل له فيهما صورة مجسمة عما بلغ إليه الشعر في دور صولة السيف وجفاف اليراع وكاتب يلذه ما حوياه من ضروب التفنن في الإنشاء، وخطيب يروقه سماع ما فاه به خطباء قطره في المواقف المختلفة فهو يصفق للمجيد ويتحسر على البليد، وهكذا فلكل مفكر في خلال الرحلتين نظرة يلمحهما بها وكلمة يقولها بهما، أما أنا فمن أولئك الذين استهوى حب الإجادة في المنظوم أفئدتهم واستولى الولوع بالشعر على قلوبهم فإن أردت الكلام فنكتة أدبية أمليها أو ملاحظة شعرية أرويها تاركاً ما عدا ذلك من مباحث

الكتابين إلى المشتغلين به وها أنا ذا أشرع ببيان ما عثرت عليه فيهما من الحسن الجيد أو المنتقد الذي لم أجد بداً من إظهار ما خالج الضمير من البوح به على أني لا أنجس الناس أشيائهم ومعاذ الله أن أفعل وفي شعراء الرحلتين عدد من أئمة الأدب وجهابذته وذوي المكانة الرفيعة والمنزلة السامقة من ناظمي قلائده وناثري فرائده قد يحرجهم الموقف ويضطرهم الحث على الإسراع إلى تجاوز بعض الحدود في التراكيب والقواعد أو التصور والخيال ولا أراهم بملومين اللهم ولا أراني ملوماً إذا أشرت إلى الشيء اليسير من هذا النوع خدمة للأدب واللغة والعاملين على الرفع من شأنها. . .

أول ما يبدهك من الشعر في الرحلة الأنورية قصيدة غراء أعجبني منها قول ناظمها (ص ٣١):

فليعلم القوم الذين تجبروا ... أنا القضاء على الذين تجبروا

وأما القساطل في قوله (ص ٣٢):

والنيل قد مدت إليه قساطل ... وجرى أمام ألفاتحين الكوثر

بمعنى الأوعية التي يجري فيها الماء من الحديد أو غيره فلا أحسبه مما عرفته اللغة فكان ينبغي الإشارة إلى أنه من محدثات المتأخرين وإنما القسطل الغبار. . ولا سبيل إلى منع صرف السبع بتكلف في قوله:

وببئر سبع جرى الحديد كأنما ... بخطوطه للنصر نكتب أسطر

والقصيدة الثانية في الكتاب تعد من غرره ودرره إليك منها (ص ٣٣):

يوم يتيه به الزمان ويفخر ... ميألق بالبشر أبلج أزهر

مشت الكتائب فيه يتبع بعضها ... بعضاً تخب بها العتاق الضمر

والبض في أيدي الكماة لوامع ... كالبرق تخفى في العجاج وتظهر

ومواكب في أثرهن مواكب ... من فوقها خفق اللواء الأحمر

هتفت فرددت البلاد هتافها ... لما بدا سيف الخلافة أنور

بطل له في الخافقين كليهما ... تاريخ مجد بالسيوف مطر

وما كان ليتبغي لصاحب هذه القصيدة أن يمنع من الصرف اسم علم الجمال في قوله (ص ٣٦):

وجمال منه لدينك خير معاضد ... في بأسه ذكرى لمن يتذكر

ومن الطالع الجميلة في الكتاب ما ورد (ص ٤.):

زها السرق لما لاح أنورنا ألفرد ... فمن وفده نور ومن وجهه سعد

وفي هذه القصيدة أبيات منتخبات وكان يحس بصاحبها أن يبتعد عن لغة الإشغال الرديئة في قوله (ص ٢٤٢):

وحرب ضروس أشغلت حركاتها ... ممالك أوروبا وضاع بها الودّ

وعن تعدية أغار باللام في قوله:

أغار العدى للدردنيل ومادروا ... بأن بجوف الدردنيل هو اللحد

وله أن يقول: في الدردنيل. وفي الشطر الثاني ركة ظاهرة تشفع بها أجادته بعد أبيات بقوله:

فآبوا لسدّ البحر يبغون منفذاً ... فعادواوقتلاهم ورائهم سدّ

وراقني من المطالع قول الآخر (ص ٤٤):

ملك الجمال اطلت فيك تحيري ... فإذا عجزت عن امتداحك فاعذر

وقول غيره (ص ٤٩):

يا أمة لبني عثمان تنتسب ... لإنت في عزة تحنى لها الركب

ولم أرى من يجمع الخطب على خطب وقد جاء في قوله (ص ٥٠):

أو من يضاهي جمالاً في حماسته ... فرداً به تتقي الأزمات والخطب

وفي هذه القصيدة أبيات عامرات يعجبني منها قوله (ص ٥١):

هلا ذكرنا حيال الدردنيل قوى ... من الحديد بها الأمواج تضطرب

تضيق عنها فجاج البحر عابسة ... تسعى إلى الموت في أنيابها العطب

تبغي اقتحام عرين الأسد معلنة ... أن الأعادي على تذليلنا أعتصبوا

فقابلتها غداة الروع صابرة ... صبر الكرام أسود هزها الغضب

إلى أن يقول:

ردوا الأساطيل تهوي في مذلتها ... يقودها للنجاة الخوف والهرب

وأكثر النحاة على كراهية إدخال أل على كل وأن أجازها فريق منهم جاءت في قول آخر (ص ٦٥):

وعلى العلائق بدت مطالع فوزنا ... والكل أضحى بالمنى مستبشراً

وما أرشق قوله بعده:

فوز به طاف السرور بطيبة ... وتهللت فرحاً به أم القرى

ومن عيوب الشعر الشائعة في هذه البلاد الاختلاس وهو زيادة حرف على الوزن يسرق في الإنشاد كقول الثاني (ص ٦٧):

لا سيما فخري باشا من به افتخرت ... بين البرية أبرار وأحرار

وما أحسن قول الآخر من قصيدة يخاطب رجلي الدولة الكريمين (ص ١٢٦):

منكما هزت الشريعة سيفاً ... صقلته من السماء يدان

سيف حق يسيل ناراً ونوراً ... ما عهدنا الضدين يجتمعان

وفي قول الآخر إشباع معيب (ص ١٣١):

ولم تكتف منها برد حياتها ... وما فقدته من مفاخرها العز

وفي البيت الآتي قطع همزة الوصل مما لا يجوز للشاعر المجيد وإن تسامح به العروضيون

لك أسم أصوغ منه بمدحي ... عقد در من الثناء مجوهر

ولا أرى مثل هذا الاكتفاء من البديع وأن عدوه في البيع في قول القائل (ص ١٣٧) ولا تنس الكل:

يتمرنون على القتال يديرهم ... عرفاؤهم والكل في طرب وفي

وكأنه هان على ناظم هذه القلادة فقال بعد أربعة أبيات:

يا رب فانصره وأيد عرشه ... فيدوم في ظفر وفي عز وفي

ولعله أراد في الثانية معنى الوفاء فكان عليه أن يقول: وفي بالتشديد ولا يخلو من ضعف في معناه. . وأين الأدب مع الله في نهيه إياه عن التأفف بقوله:

فلأنت موئلنا ومنك غياثنا ... وإليك مرجعنا، فلا تتأفف (!)

فهل يخاطب غير السوقة بهذا القول. . واستعاض الآخر عن المهيب المهاب وهو مما انتقده الباحثون قال (ص ١٤٠):

سلام على جند ابن عثمان إنه ... لجند مهاب لم يرعه التكاثر

وما أدري ما دفع الشاعر الآخر إلى وصف القائد المقدام بلقب الشهم وهو مما ابتذلته الطبقات المنحطة وأصبح ينعت به الكثيرون من العامة، قال يخاطب أنور باشا (ص ١٤٥):

كذاك أخوك الشهم (؟) أحمد عصرنا (؟) ... جمال لدى الهيجاء ليث غضنفر.

وكان الأجدر بهذا الشاعر أن يتفطن لما فطن به الشاعر الأندلسي محمد بن القوزراني (المترجم في بغية الملتمس) بقوله:

ظلمناك إن قلنا الأجل ولم نقل ... هو الواحد المفضال والأوحد البرّ

وشاعرنا القائل في قصيدته (ص ١٤٤):

فيا فارس الإسلام في كل معرك ... ومن عزمه قد ذل كسرى وقيصر

أراد: ويا من من عزمه إلخ وأما كسرى فلا أعلم ما جاء به اليوم؟. وهو القائل بعد أبيات:

وكن لجمال العصر عوناً معضداً ... ولا سيما في فتح مصر مبشر.

أراد: مبشراً فغلبته القافية. ويخطيء الكثيرون بوضع إذ مكان إن كقول الآخر (ص ١٤٧):

سل عن بسالته وشدة بأسه ... إذ كنت تجهل سر أنور في الورى

أراد: إن كنت. وعجيب من الآخر تشبيهه أنور باشا بإبن مقلة وحسان قال (ص ١٤٨):

أين ابن مقلة ابن حسان إذا ... خطت يداه من البلاغة أسطرا

وابن مقلة خطاط وحسان شاعر فأين شاعرنا من تشبيه القائد الكبير بالفاتحين المغاور كابن الخطاب والخراساني والفاتح وابن الوليد وأمثال هؤلاء. . ولم أجد الظميئة فيما بين يديّ من كتب اللغة والأدب قال آخر (ص ١٧٧):

وكيف تطيب النفس عن ورد فضله ... وموردها وهي الظميئة كوثر

وفي القاموس: ظمىء كفرح وهي ظمآئة. وفي الصحاح: وبابه طرب وهي ظمأى. ومثله في لسان العرب وأساس البلاغة. وفي التاج: قال شيخنا: وظميئة كفرحة زاده ابن مالك وهي متروكة عند الأكثر. فأين الظميئة. . ولعله أراد تصغير ظمئة وهو ركيك وفي هذه القصيدة مفردات تمتاز بالجودة ومتانة السبك كقوله (ص ١٧٧):

وجاهدت حتى عاد للدين عزه ... وباء عدوي الله بالخزي يعثر

برزت إليه والأسنة شرع ... وخطب الرزايا (؟) للمنايا مشمر

فأوقع فيه سيفك الغضب محنة ... ستذكر حتى يحشر الناس محشر

وهناك تجوز ضعيف ارتكبه الثاني بقوله (ص ١٨٠):

أهلا بأكرم معشر ... حيوا فأحيوا الأربعا

يريد فأحيوا، بفتح الياء، فلم يسعفه الوزن. وفي هذه الأبيات بيت يذكر في ألفوائد وهو:

النصر من أنصاره ... يسعى له أنى سعى

وأخطأ صاحب هذه البيات في قطعة ثانية قال فيها (ص ١٨١):

فمر السعادة أنور ... والبدر أحمدنا المبجد

وألفرقد الوضاء عزمي ... داموا بتوفيق مخلد

فالبيت الثاني غير مستقيم. . ومن بديع ما في الكتاب قصيدة جاء فيها (ص ٢٣٠):

جيش تألف والإسلام رأيته ... من خيرة العنصرين الترك والعرب

سارت بجحفله الأقدار تقدمها ... ملائك الله فوق الخيل والنجب

تسربات بدروع الوحي واعتقلت ... من نبعة النور أطراف القنا السلب

وبعد أبيات وصف بها جنود الأعداء (ص٢٣١):

الت: سأرحل عن مصر وما رحلت ... قالت: أثوب إلى العدل ولم تثب

وفي ابتداء القصيدة (ص٢٢٩):

مذ قيل أنور الشعب في حلب ... قد ماجت القدس من صفو ومن طرب

ولو قال: ماجت له القدس، لكان أرشق

ترى النفوس على طول القطار له ... من شدة الشوق منقاة على القضن

بها انتظاراً إلى ميمون طلعته ... ما بالقطار من التضرام واللهب

ولو قال: بهن شوقاً، لكان أحسن من الإنتظار. . وما دريت ألفرق بين النجب والنجب في قول الآخر (ص٢٣٧):

لله أنور المقدام من شهدت ... بحزمه الخلق من نجب ومن نجب

وقال آخر (ص٢٧٢):

لا غرو أن أمّ هذا القبر مبتهلاً ... يستمنح النصر حتى يأته (؟) الظفر

يريد: حتى يأتي الظفر. وهو القائل (ص٢٧٤):

هذا الوزير الذي جلت مآثره ... أن يحصها العد أوأن تحوها ألفكر

يريد أن يحصيها وأن يحويها. ومن أحاسن هذه القصيدة:

هشت لمقدمك المحبوب تربتها ... كأنما أنت في أحيائها مطر

أذكرها زمن الصديق من حقب ... أو يوم يحكم في أرجائها عمر

أراد: يوم كان يحكم. وأحسن منه: أو يوم حكم.

يسعى وغايته الإخلاص مجتهداً ... ودأبه الجد والتفكير والسهر

والأفضل لو قال: وغايته العلياء أو ما معناه وأما الإخلاص فعنوانه وقائده ومسيره.

تلك المزايا التي خص الإله بها ... قوماً هم الناس أن عدو وإن ذكروا

واستعمل الآخر حيث للتعليل ولم تعرفه العرب بل هو من مستحدثات المولدين قال (ص٢٧٩):

يا حمص تيهي حيث زارك أنور ... ردء الخليفة سيفه البتار

وهو القائل:

عم البسيطة والبرية عدله ... فالخلق شخص والبسيطة دار

والشطر الثاني مما لا يتحصل منه معنى. وقال:

يا واحد الدنيا الذي بشبيهكم ... عقم الزمان وضنت الأدوار

أراد: بشبيهه. وهو أدرى بالأدوار!. وعجبت من قوله:

أيدت دين الهاشمي فلم يضع ... لبني الشريفة عند سيفك ثار

فكأنه يقول. أن بني الشريعة (يريد المسلمين) قد أدركوا ما لهم عند سيفك من الثأر القديم، وفيه ما ترى! وهو يقصد عند وجود سيفك

وأعجبني من قصيدة أخرى قول منشئها (ص٢٨٦):

لك المثل المعسور فينا وإنما ... غداً في قلوب المؤمنين يعمر

نظمت من الإسلام أسنى قلادة ... وكادت وأيم الحق لولاك تنثر

وما أبدع قوله بعده:

وكيف ترى الأيام محو سطوره ... وفي كل صدر م{ من منه أسطر

ثم يقول:

ومد على الإسلام منه سرادق ... يصان بها دين الحنفي وينصر

والسرادق مفرد مذكر فحقه أن يقول: يصان به. والحنيف الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت عليه. والأولى أن يقال: دين الحنيف كما قال لسان الدين بن الخطيب: يا ناصر الحنيف وأهله. . البيت. . ثم قال وخطأه النحوي ظاهر (ص٢٨٨):

وعما قريب يحبط الله سعيهم ... ونربح مصراً والعراق ويخسروا (؟)

ومن جيّدها:

أيا واحداً صحت جموع صفاته ... وأعداؤه جمع ولكن مكسراً!

وفي القسم الأخير من الكتاب قصيدة هي من خير ما فيه مطلعها (ص٢٨٩):

كسعيكما فليسع من يطلب المجدا ... فمن حاد عن نهجيكما أخطأ القصدا

أعزما إلى حزم ورأياً إلى هدى ... لقد جزتما من طاقة البشر الحدا

لى أن يقول: أأنور لا تنسى مواقفك التي ... تشيب على أهوالها الأسد الورودا

مواقف أعشى كل رأي ظلامها ... فكنت برأي ألفرد نيرها ألفردا

فهل لك نفس هذه ... فأرخصت فيها السوم إذ تشتري الحمدا

فأي يد تحصى أياديك جمة ... لقد ضل من أحصى النجوم ومن عدا

رأيتك في أجبال برقة قائماً ... يزين لك الأقدام خطب بها اشتد

جمعت قلوباً فرق الجهل بينهما ... وألفت منها في مجاهلها جندا

ثم قال:

ولو كنت يوماً بالتناسخ قائلاً ... لقلت ابن سرح في صحابته ردا

هذا بعض ما أردت إراده من شعر الرحلة الأنورية وأما كتاب البعثة العلمية فالشعر فيه أقل من النثر على كثرة ما فيه من المنتقد قال أحد شعرائه (ص١٩٥):

شرف التمثل بين أيدي أعاظم ... يبنى عليه تزاحم الأدباء

فلا أعلم ما يصنع بياء أيدي المختلسة وهو يمر عليها عند تلاوة البيت مرور الكرام!

يا موسى يا مفتى الأنام وشيخهم ... يا مرجع الأحبار والعلماء

وهو يمر بالحرف الأخير من موسى مروره بالياء الأخيرة من أيدي السابقة ولعله يريد: يا موس، على الترخيم فيكون الخطأ في الطبع

يا عادل في نشر شرع محمد ... يا قائم برياسة النقباء

والأحسن: يا عادلاً، ويا قائماً.

يا منقذي الإسلام والبلد الحرام وحافظي فاروق (؟) من أعداء

يريد: فروق، وهذا من تحريف الإعلام، وقد أورده الشاعر نفسه في قوله من أبيات آخر (ص٢. ٨):

سنشكركم سكان فاروق. . كلما ... دخلنا بيوتاً للتهجد والنسك. .

وما أدري الباعث على اختصاص بيوت العبادة للشكر. . وأما تنكير أعداء في البيت السابق فقبيح. . ومن رقائق الكتاب أبيات تلاها الآخر في مأدبه (ص١٩٦)

هذه ليلة السعود وإني ... أنا أهوى ليالي الإسعاد

ليلة أشرقت بنور علي ... ورجال الحكومة الأمجاد

هي مني مكان قلبي من الصدر ... ومن ناظري مكان السواد

ولآخر قصيدة في خيار ما في الكتاب، أعجبني منها قوله (٢. ٩):

ولم أرى كالإخلاص في حب دولة ... فكم أرحب الإخلاص من رجل صدرا

ولم أرى كالإنصاف في جمع أمة ... فكم وحد الأنصاف من أمة فكرا

وهو القائل قبلهما يخاطب رجال فاروق (ص٢١.):

فكنتم نجاد الملك والعرب سيفه ... وكنتم يمين الملك والعرب اليسرى

وكان على بعد البلادين بينكم ... هدى الدين سلك الكهرباءة والمجرى

وما أحسن استدراكه في قوله (ص٢. ٨):

سلام على الدستور حلواً مذاقه ... وإن كان بعض الناس قد ذاقه مرا!

وجل أبياها من الغور لولا المسألة الأخرى في قوله (ص٢١.):

أما أنتم بالحزم كنتم رجالها ... وقد كنتم أعلى بمسألة أخرى (؟)

وإدخال ال – على غير قبيح وإن جوزه بعض البحثين، قال آخر يمدح الأساتذة (ص٢٣.):

لئن طال مدح الغير فيها تكلفاً ... فإن قصور المدح بالشعر أجمل. . .

وفي عجز البيت ما فيه. . ولم أدر ما المترجم في قوله (ص٢٢١):

ويطرف طرف مد بالسوء نحوها ... وعقل رماها بالترجم يعقل

وفي البيت الآتي خرق لا يرتق:

وإن رام يوماً شاعر وصف ما حوت ... ولو أنه الضليل راح مضلل. . .

يريد: راح مضللاً، ولكن القافية لم تعنه. وأعجبني من هذه القصيدة قوله (ص٢٢٢):

ورب أمريء في حبهم عاد عاذراً ... وقد كان لي بالأمس يلحى ويعذل

ومن خيرة قصائد الكتاب قول الشاعر يخاطب دولة أحمد جمال باشا بعد عودة الوفد من عاصمة الملك (ص٢٦٠):

سرى وفدك الغازي ومثلك يوفد ... وعاد بملء البشر والعود أحمد

سرى منك مضمون النجاح مسيرة ... وطالعه يا كوكب السعد أسعد

يعني رئيس الوفد الأستاذ الشقيري

سرى لمقر الملك والذين قاصداً ... كما يقصد البيت العتيق الموحد

وما أرق قوله يصف زيارتهم لدار الحرب (ص٢٦٣):

فكدنا نضم الرمح قداً مهفهفاً ... ونلثم حد السيف وهو مورد

وحرف المثل الذي هو أعقد من ذنب الضب بقوله (ص٢٦٤):

إذا أدبروا فالخزي أو أقبلوا الردى ... فموقعهم من ملتس الضب أعقد

ومن الطراز الأول في الكتاب قصيدة في مديح أحمد جمال باشا جاء فيها (ص٢٨٦):

تبيت رعاياه بعين قريرة ... ويقضي سواد الليل يقظان ساهداً

ومن طلب العلياء والمجد لم يكن ... إذا رقد العز المفرط راقدا

فلو أن مجد المرء أخلد ربه ... بقيت على الأيام في الدهر خالدا

ومنها في وصف الأعداء:

أقاموا على شط القنال معاقلاً ... ستبقى لهم يوم اللقاء مصائدا

ويذهل فيهم والدعن وليده ... ويخطيء وجه الشد من كان راشدا

إلى أن يقول في خطاب الممدوح (ص٢٨٨):

ومن نيط يوماً في ملاك رجاؤه ... تناول بالكف المجرة قاعدا

وفي القصيدة بيت يقول فيه (ص٢٨٦):

رمى الله منك الإنكليز بصارم ... صقيل يقد الهند وأني غامدا

يريد: مغمداً أو مغموداً ولعله ألحقه بباب عيشة راضية ولم يسمع في هذا ألفعل.

وأخالني قد أطلت على القراء ولو أردت البحث في كل ما عليه النظر من مليح وقبيح لملأت الحائف الكثيرة وحسب الواقف على هذين المؤلفين أن يجتمع له آثار فريق كبير من شعراء هذا العصر كامين بك ناصر الدين والسيد حبيب العبيدي وشبلي بك ملاط والشيخ مصطفى الغلاييني والشيخ علي الريماوي والسيد بدر الدين النعساني والشيخ عبد الكريم عويضة والشيخ سليم اليعقوبي وغيرهم من رجال الشعر والأدب. وفيها عدد من القصائد التركية وخطب ومحاضرات مفيدة منها للخطيب الكبير الشيخ أسعد الشقيري رئيس الوفد ومنها لمصنفها المفضال ولغيره من الصحافيين والأدباء والفضلاء. وبالجملة فالكتابان روضتا شعر وأدب يحسن بالمتأدب اجتناء ثمارها كما يحسن بي أن أتقدم بالشكر لمؤلفها الأستاذ صاحب هذه المجلة الزهراء الذي وقف حياته على خدمة العلم والاجتماع والتاريخ والأدب ولا أنسى الإشارة إلى أنني لم أكن أنظر في هذا النقد إلى الأسماء والألقاب فأثني وأطري وأنتقد أنتقم شأن بعض المتصدين لمثل هذه الأبحاث بل نظرت إلى الشعر دون الشاعر والقول دون القائل ولعلها تسلم لي الإصابة في جل ما ذهبت إليه خدمة لهذه اللغة وآدابها والله المستعان في كل آن

دمشق

أحد القراء

رزايا الحروب ومزايا البشر ونتائج الفنون

عفت الربوع فلا رنوع ... وخلا الجميع فلا جميع

أين الغواني بالمغاني ... لا يروعها مريع

الساحبات مطارفاً ... عنها الشذا الداري يضوع

المالكات وما لها ... إلا الإبا التاج الرفيع

والمرسلات لواحظاً ... كم بين أسهمها صريع

في شعرها عبس الدجى ... وبثغرها ضحك الصديع

فبدت وما طويت على ... غير الجوى منها الضلوع

ما أن لها إلا الصدى ... أن تدع معشرها سميع

تستنجد العبرات إذ ... لا منجد إلا الدموع

صدعوا لها شملاً به ... لفؤادها منه صدوع

بالراح تدفع وثبةً ... ليست تفل لها جموع

وتخال أن زفيرها ... لعداء أعداها دموع

ترنو لمبغوم وأحشا – ها يقطعها النزوع

لم يدر ما معنى الحيا – ة وكيف يفهمها رضيع

ويكاد يسلم نفسه ... لنحتف والده الجزوع

فله مدامعه تذا – لجوىً وللحرب النجيع

وفؤاده كلوائه الخفا – ق خفاق مروع

تدعو الوغى فيجيبها ... ويجيب إذ تدعو الربوع

ولرب ليل لم يزر ... طرفي بجنحيه هجوع
قلبت صفحة أفقه ... ولكم به مرأى بديع
فقرأت أسطره وما ... غير الدراري لي شموع
كم قد تردى بردةً ... من نسج ظلمته جزوع
وإذا نضى عنه هزيعاً ... لفه منه هزيع
يشكو الولوع لنجمه ... من قد أضرّ به الولوع
ما الهم إلا طائر ... وله بداجيه وقوع
والنجم قلب فيه يخفق ... ليس تحضنه ضلوع
يشكو كما أشكو جوىً ... ويذيع منه ما أذيع
وخفوقه عن وجده ... والدمع عن وجدي مذيع
والفكر يدنيه وأن ... ينأ به الأمد الشسوع
ناجيته لو كان لي ... منه على النجوى سميع
ألرهبة أبعت عن ... أرض تقلبها سريع
ترنو إلى أبنائها ... شزراً وكلهم مروع
وهم ضرائب للقوا – ضب والرماح لهم شروع
أحرارهم ما انفك في – ها يسترقهم الخضوع
ألفوا الحمام كأنما ... هو طائر لهم سجوع
وفشا الخداع بهم فما ... يلفى بهم إلا الخدوع
درسوا ألفنون وإنهلهم ألففون فناً مريع

مرعى ألفضيلة مجدب ... والنقص مرعاه مريع
لهم البدائع في الزما – ن وكل صنعهم بديع
لولا التجاذب بينكم ... ما كان منك لهم طلوع
الجهل فرقهم فهم ... شتى وجهتهم جميع
قطعوا به أرحامهم ... ولكم به رحم قطيع
رمح الكفاح لبوسهم ... ودخانه لهم دروع
وصدا الدروع عبيرهم ... ومن النجيع لهم ردوع
يتجرعون بدهرهم ... غصصاً هي السم النقيع
ومن الدمآء لبانهم ... والمرهفات لهم ضروع
أغرى العداوة بينهم ... أن ليس بينهم قنوع
وأضلهم طرق الهداية ... والنهى الحسد الشنيع
وإذا يدا طمع يهيب ... بهم له برق خدوع
حسدوا النجوم مكانها ... ومكانها عنهم رفيع
ولكم وراها من (منا – طيد) جرى لهم تبيع
دفعت وليس لها سوى ... غاز يخفرها دفوع
فكأنها راع وما ... غير النجوم لها قطيع
تعصي الرياح عواصفاً ... ولترر غازهم تطيع
فكأنها سفن وما ... غير الرياح لها قلوع
وكأنما هي طائر ... وجناحه البرق اللموع

أو مثقلات حملها ا – لأهوال والقيل الذريع
إن راق منظرها العيو – ن فأن مخبرها فظيع
هي للردى سبب وكم ... في وصله سبب قطيع

النبطية

سليمان ظاهر

مطبوعات ومخطوطات

كلمة موجزة

في سبير العلم وسيرتنا معه لإسعاف أفندي النشاشيبي

هي كراسة كان حاضر بها صاحبها بعض فضلاء القدس وطبعها على حدة في مطبعة دار الأيتام السورية ألم فيها بتاريخ العلم في العالم وذكر ما كان لصاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم من الأثر الذي تغيرت به الأرض وبعد أن ذكر ما كان لأئمة العلم في الإسلام من الآثار الخالدة قال ما ننقله نموذجاً من إنشائه العذب أيضاً: والعلم الحق لن يلقاه في هذا العصر ناشده ولن يجده رائده إلا في الإقليم الإفرنجي فإن أهل هذا الإقليم قد هجروا الكرى منذ قرون والمشارقة هاجدون وأنشأوا يفكرون ويحققون ويقتبسون من فطنة كل علم ومئنة كل أدب ما يقدرون على اقتباسه ويقاومون كل من ثناهم عن معرفة أو قدعهم عن طلب حكمة ولم يقعدهم عن مواصلة السير في نشدان الخير أمير قاهر أو كردينال جائر أو ديوان تفتيشي أو منشور باباوي أو نار طلم موقدة أو أخدود ذو جاحم مستعر يقذف فيه كل من تفكر واعتبر وبحث ونظر وأبى أن يسم نفسه بسمة الجاهلين ولم يبرح القوم مشيحين دائبين ومشمرين منكشين حتى جاءت هذه العصور